٢٢- لا تكن جاهلاً...

اعلم يا بني ويا بنيتي أن الجهل هو:" اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه ".[١] وهو أساس كل ضعف وتردي ، وهو ضد العلم وقرين التخلف والتخبط، ومدعاة لكل نقيصة وخطيئة.

وصاحبه صاحب عمى، يُبصر ولا يَحترز، ويَسمع ولا يفهم، هو الكبير الصغير.

قال الشاعر:

فـإن كبير القوم لا علم عنده ∴ صغير إذا التفت إليه المحافل

وهو في الشدائد والمهمات، متفرق جمعه. لا يُفيد منطقه، ولا يَفصل رأيه.

لا يميز الصالح من الفاسد، ولا النفيس من الرديء.

يصاحب من يخدعه، ويعادي من ينصحه. يجهل دائمًا على ذوي الفضل. لأنه ليس له علم يهديه، ولا عقل يرشده.

يغريه جهله دائمًا فيعتقد في ذاته شرفًا لا يُطَاول، وأنه فوق كل الناس.

لا يسلم منه أحد، وهو على هلاك نفسه قائم.

ولهذه النقائص والمذام يا بني لم يُذْكَر الجهل في القرآن الكريم إلا في

---

(١) التعريفات ص ٨٠.

معرض الذم له والنهي عنه، والتعوذ منه، والتخويف منه.

قال الله تعالى حاكيًا عن موسى: ﴿ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [البقرة : ٦٧].

وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأنعام : ٣٥].

وقال تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف١٩٩].

وقال تعالى: ﴿ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[هود : ٤٦].

وقال تعالى: ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [يوسف: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ ﴾[الفرقان: ٦٣].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[القصص: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الزمر: ٦٤].

من هذه الآيات يتضح لك يا بُني أمران:

الأول: أن صفة الجهل قبيحة، لا يليق بالإنسان الذي كرمه الله تعالى على كثير من خلقه أن يوصف بها، ولهذا تَعَوَّذَ منها كل عاقل وصالح.

وهي صفة تقلل الفارق بين الإنسان وبقية ما دونه من المخلوقات.

الثاني: الأمر بالبعد عن الجاهلين، والإعراض عنهم، لما في ذلك من الخير والنفع، لأنه لا خير أو نفع يُرجى من جاهل، فهم الأموات بين الأحياء.

قال الشاعر:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله ∴ فأجسامهم قبل القبور قبور
وأنَّ امرأ لم يحي بالعلم ميـــت ∴ فليس له حتى النشور نشور

أقسام الجهل:

اعلم يا بني أن الجهل ينقسم إلى: بسيط ومركب

أولًا: الجهل البسيط، وهو أن يجهل الإنسان ويعلم بجهله، فعلمه بجهله جعل هذا الجهل يُرجى زواله، فهو على دراية بحقيقته، ولذلك قالوا: لا أدري نصف العلم.

وقيل:" هو عدم العلم عما من شأنه أن يكون عالمًا". (١)

ثانيًا: الجهل المركب، وهو أن يجهل الإنسان ويجهل بأنه جاهل، فهو جاهل بالواقع وجاهل بحقيقة نفسه، فهو" عبارة عن اعتقاد جازم غير مطابق للواقع". (٢) وهو أخطر القسمين، إذ لا يُرجى زوال هذا الجهل، وكيف يُزِيل الجاهل شيئًا لا يراه موجودًا ؟ .

وصاحب هذا الجهل في تيه وغرور، لا يسهل إقناعه بحقيقته، ولا يتعافى منه إلا من رحم ربي.

وهو في الغالب يدعي ـ ما هو ضد حقيقة أمره وهو ـ العلم، فتجده لا يرى إلا رأيه، ولا يسمع إلا صوته، ولا يحق إلا قوله.

(١) التعريفات ص٨٠ .
(٢) المصدر السابق ص٨٠ .

يرى نفسه أنها على حق ونور، في حين أنها في ضلالة وظلمة.

وهذا الصنف من الجهل يا بني يكثر في بلاد الإسلام. يكثر من يدعي العلم وهو جاهل، ومن يدعي أنه على حق وهو على باطل، ومن يدعي الإصلاح وهو مفسد، ومن يدعي الصواب وهو على خطأ.

بل يدعي أنه هو فقط الذي على صواب وغيره على خطأ.

غرته قشور المعرفة، وما تفضل عليه العلم من فتاته، فذهب يقارع الراسخين في العلم. في غير أدب ولا ملاطفة. فتراه مره يسفه رأيًا، ويُخطئ آخر، ويناقش ويعارض، بقول ركيك، ورأي سقيم، ودليل ضعيف.

ولو كان تام الجهل لكان خيرًا له وأقوم، ولكان صدره لتلقي العلم أرحب.

ولقد ضرب الله تعالى أمثلة تشبه هؤلاء بقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [البقرة ١١ - ١٢].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الكهف : ١٠٣ - ١٠٤].

وتعجز دائمًا النصيحة والإرشاد والتصويب عن أن تفيقه من أوهام الجهل، وإدعاء العلم.

من صور الجهل ...

اعلم يا بني أن الجهل إما أن يكون بأمور الدين، أو بأمور الدنيا...

الجهل بأمور الدين:

وهو أخطر صور الجهل على الإطلاق، لأنه قد يورد العبد المهالك، ويعرضه لغضب الله وسخطه، وهو في غفلة، وجهل لمصيره.

ويكون على عدة صُوَر...

١- الصورة الأولى: الجهل بالله تعالى، فعدم معرفة العبد بصفات الله المعبود، تجعله يظن به ويُلحق به صفات لا تجوز في حقه، فيردى بهذا الظن السيئ. فمن يجهل بعلم الله تعالى المحيط بكل شيء في أرجاء ملكه، يظن أن الله تعالى يعلم أشياء دون أخرى، أو يعلم الكليات دون الجزئيات، وقد حكى الله تعالى عن هؤلاء الجهال، وبيَّن أن جهلهم هو الذي أوردهم المهالك قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[فصلت : ٢٢، ٢٣] .

فالجهل بأسمائه تعالى وصفاته من أقبح صور الجهل وأخطرها على عقيدة العبد.

٢- الصورة الثانية: الجهل بحق الله تعالى على العباد، وهو إخلاص العبادة له دون سواه، لأنه لا يستحق أحد أن يُعبد معه أو دونه.

فالجهل بهذا الحق يجعل العبد عُرضة للإشراك بالله تعالى. وقد جهله قوم موسى، فضلوا ضلالًا مبينًا، قال الله تعالى فيهم: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ

إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٣٨] .

وقال تعالى عن آخرين: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الزمر: ٣] .

فهؤلاء علموا أن الله مستحق للعبادة، لكنهم جهلوا أنه مستحق للعبادة وحده دون سواه.

٣ـ الصورة الثالثة: الجهل بحق النبي ـ ﷺ ـ على كل من آمن به وبرسالته، وهو لا يقل خطورة على عقيدة المسلم عن الصورة السابقة، لأن حق النبي ـ ﷺ ـ مقدم ـ بعد حق الله تعالى ـ على حق النفس وحق الوالدين، وعلى كل ذي حق، ولا يكمل إيمان مسلم إلا بعد أن يعرف ذلك الحق، ويعمل به. وأن يُنزل النبيَ ـ ﷺ ـ من نفسه منزلة لا تقارنها أي منزلة لمخلوق، وأن تكون نفسه فداءً لنفسه، وقائمة على ما جاء به من شرع.

وقد بين النبي ـ ﷺ ـ هذا الحق بقوله : " فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ ، وَوَلَدِهِ ". (١)

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ". (٢)

وَعَنْ جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "

---

(١) رواه البخاري من حديث أبي هريرة .

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد .

مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَنَسِيَ الصَّلَاةَ عَلَيَّ خَطِئَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " . (١)

٤- **الصورة الرابعة:** الجهل بتكاليف الشرع، ويترتب على هذا الجهل أمور منها...

أ ـ ارتكاب مخالفات شرعية وهو لا يدري، فمن يجهل النهي لا يتوقاه، ومن يجهل الأمر لا يلتزمه، وهو غير معذور في هذا الجهل، لوجود من يمكن أن يسأله عن أحكام الشرع، من علماء وفقهاء، وهم حجة على كل مقصر في السؤال والتعلم.

ب ـ إحداث البدع، والبدعة هي:" الفعلة المخالفة للسنة، سميت البدعة لأن قائلها ابتدعها من غير مقال إمام.

وهي الأمر المحدث الذي لم يكن عليه الصحابة والتابعون، ولم يكن مما اقتضاه الدليل الشرعي". (٢)

وخطورة البدعة أن "المبتدع قد نزل نفسه منزلة المضاهي للشارع، لأن الشارع وضع الشرائع، وألزم الخلق الجري على سننها". (٣)

ج ـ نشر الخرافات والخزعبلات، وتصديق كل ما يقال، والتبعية المطلقة لكل داعية، سواء أكان داعية حق، أم داعية ضلالة.

د ـ الانخداع باسم الدين، فالجاهل أكثر الناس قابلية للانخداع باسم

---

(١)رواه ابن أبي شيبة من حديث جعفر عن أبيه وروى نحوه ابن ماجة من حديث ابن عباس والبيهقي من حديث أبي هريرة .

(٢)التعريفات ص٤٣.

(٣)أبو اسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي/ الاعتصام/ القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٩م ١/ ٤٩ .

الدين، فتُراه يَقتل البريئ والذمي، وينشر الرعب في قلوب الآمنين، باسم الجهاد في سبيل الله، ولو كان ذا علم، لعلم أن القتال في الإسلام لا يجب على المسلم إلا ضد من يحمل السلاح عليه، فيكون في حالة حرب معه .

قال الله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الممتحنة : ٨ ، ٩].

وأن الذمي له حق على المسلمين، مادام ملتزمًا بما عليه من واجبات نحو المجتمع الإسلامي، فيحرم إيذاؤه أو قتله .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا ". (١)

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا فِي غَيْرِ كُنْهِهِ ، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ". (٢)

من مضار الجهل...

١ـ يورد المهالك ويجلب المصائب.

٢ـ يفسد ولا يصلح، ويخرب ولا يعمر.

٣ـ يضع رفيع النسب، ويذل عزيز القوم.

---

(١) رواه البيهقي.

(٢) رواه أبو داود في كتاب الجهاد . باب في الوفاء للمعاهد وحرمة ذمته .

٤ـ المعصية أثر من آثاره، وثمرة من ثماره.

٥ـ شر أنواعه ما كان صاحبه لا يعلم بجهله، وشر منه من كان يظن أنه على ما فيه عالم.

٦ـ مرض وبيل، وداء وخيم، وشفاؤه السؤال والتعلم". (١)

(١) نضرة النعيم٩/ ٤٣٨٩.